ذرات كيميائية تحملها نسمات الهواء الرقيقة تحرك خلايا أدمغتنا العصبية وتغير مشاعرنا وأحاسيسنا برهافتها، وتختزل في ذاكرتنا شاهدة على مواقف حياتنا مرتبطة بتراثنا والأعراف السائدة فيه.. هذه هي ما كانت جداتنا ينشرنها في بيوتنا، مكوناتها العود والعنبر والعطور. التبرك بالبخور عادة قديمة توارثتها الأجيال، حيث كانت تجعل من شوارعنا بستانا من العطور، نتيجة للأريج المنبعث من بيوت أدمنت استنشاق الطيب والعنبر والمسك باعتبارها طقوسا لا بد منها من اجل التطهير والتطيب.

□ بغداد / نداء فؤاد

سحر وأسرار وذكريات لا تنسى

البخور.. عطر ضاع عبقه وسط دخان الحروب والمولدات

البخور يحرق لإخراج عطره

احمد حسن (مواطن) قال لـ"المدى": "والدتي تحب البخور والعطور الطبيعية وتستخدم المسك والعنبر، أما أنا فأفضل العطور الموجودة حاليا لانها عملية، ولست بحاجة الى احراقها لاستخراج عطرها، حيث ان والدتي تحرق أعواد البخور باستخدام مبخرة خاصة لتطييب البيت يوميا، وهي لا تستخدم قناني العطور أبدا، بل تعتبرها حالة شاذة ادخلها الجيل الجديد على حساب الأصالة التي تجدها في البخور بحسب والدة احمد.

البخور من أبرز سمات الشخصية الخليجية

ليلى المعموري باحثة اجتماعية تضيف، "منذ عدة قرون وما يزال دخان البخور يتصاعد في أجواء العالم القديم في معابدهم وطقوس وشعائر اديانهم، وما زال يرحل في حياة الناس باعتباره جزءاً من تقاليد موروثة عرفتها ثقافات كثيرة في الشرق والغرب، حيث ان (للعود والعنبر والعطور) المواد التي يتكون منها البخور مكانة خاصة ومميزة لدينا نحن العرب، لأنها تمثل رمزاً للضيافة التي توارثناها، كما يعتبر العود من أبرز سمات الشخصية الخليجية على وجه التحديد، حيث لا تخلو جلسة نسائية ولا مجلس رجال في الخليج من ذلك العود الذي يحرق ليجود بعطر رماده.

وتبين المعموري للمدى ان "المرأة العربية تتمتع بذوق خاص في استعمال البخور، ودهن العود هو أشهرها، إضافة إلى عرق الصندل، وعرق الزعفران، وعرق العنبر، وعرق الحنة، وهب النسيم، والياسمين وعطر النديم وغيرها، مرتبطة بحاسة الشم لدى الانسان حيث تؤكد الدراسات الحديثة أن الأنف البشري يميّز ما بين ١٠,٠٠٠ و١٠٠,٠٠٠ نوع من الروائح المختلفة.

الأنف يحوي 350 خلية عصبية

دكتور الأنف والأذن والحنجرة محمود الشيخلي أوضح للمدى: "التجارب أثبتت أن باستطاعة الإنسان تمييز مصادر الروائح في الجو بدقّة، فعندما نتنفّس، تسير ذرات الرائحة الكيميائية المنتشرة في الجو عبر فتحتي الأنف ملامسة بطانة في داخله بحجم الطابع البريدي، وهي بطانة تتضمن نحو عشرة ملايين خلية عصبية في رأس كل منها لاقط بروتيني، يلتقط هذه الذرات ويبعث بالرسائل إلى منطقة استقبال في القشرة الدماغية حيث يوجد نموذج خاص في المستقبلات العصبية الدماغية الناشطة التي تؤمن المعلومات عن الروائح ومصادرها، مضيفا "أن حاسة الشمّ البشرية تحتوي على ٣٥٠ نوعاً من الخلايا العصبية اللاّقطة التي تتفاعل مع أنواع مختلفة من الروائح. كما أن باستطاعة أي من هذه الخلايا أن تعمل منفردة أو ضمن مجموعات لالتقاط ذرّات الرائحة وبثها.

العرب والبخور

ماجد حاتم تاجر بخور يضيف، ان "البخور تعتبر أشياء أساسية وضرورية في البيت العربي، وتطلق كلمة البخور على مكونات عطرية توضع على مصدر حراري غالباً ما يكون الجمر، الذي يحولها بدوره إلى مواد عطرية ينبعث منها دخان ذو رائحة طيبة تختلف باختلاف العطر المكون لها، والبخور ما زال استعماله شائعاً حتى اليوم في بعض البيوتات، وقد يحرص البعض على استعماله كل يوم ويكتفي آخرون بحرقة في المناسبات، وتستخدم في ذلك مباخر أو مجامر ذات أشكال وألوان متعددة يعمل بعضها بالكهرباء، إلا أن غالبية محبي استعمال البخور يفضلون الجمر الطبيعي، كما يحب البعض استخدام البخور كوسيلة من وسائل استقبال الضيوف والترحيب بهم، وكثيرون يفتتحون مناسباتهم الخاصة وأفراحهم بحرق عود البخور لأنه برائحته الزكية يثير خلايا المخ ويبعث في النفوس شعور بالبهجة والراحة، فيساعد على الاسترخاء المصاحب بنشاط فعال بالجسم.

المباخر المصنوعة من الفخار كانت تستخدم بشكل واسع، وما زال هذا النوع من المباخر يستخدم في بعض المناسبات، وإن كان الشائع استعمال المباخر المصنوعة من النحاس

البخور تعتبر أشياء أساسية وضرورية في البيت العربي، وتطلق كلمة البخور على مكونات عطرية توضع على مصدر حراري غالباً ما يكون الجمر، الذي يحولها بدوره إلى مواد عطرية ينبعث منها دخان ذو رائحة طيبة تختلف باختلاف العطر المكون لها

ما بعد العود قعود

أما كريم الساعدي بائع مباخر فيتحدث عن أهم أنواع المباخر المستخدمة قديما وحديثا ويبين: إن "المباخر المصنوعة من الفخار كانت تستخدم بشكل واسع، وما زال هذا النوع من المباخر يستخدم في بعض المناسبات، وإن كان الشائع استعمال المباخر المصنوعة من النحاس، ومن أطرف ما يروى عن تقاليد استعمال البخور ، انه إذا ضاق صاحب البيت بزواره بعد أن طالت فترة زيارتهم أو جزع من حديثهم ، فانه يهرع إلى المبخرة ، ويشعل فيها المسك ويطوف عليهم متمتماً "مسك الختام"، فينهض الضيوف للانصراف، والقول الشائع بينهم هو "ما بعد العود قعود".

وتقول أم فرات صانعة بخور: "الأهل والأقارب من جيل إلى جيل توارثوا وامتهنوا صناعة البخور، فتجدين جميع أفراد الأسرة تقريباً متوارثين لتلك المهنة عن أسلافهم من الأقرباء، أختها وهكذا، وهذا ما نلحظه تقريباً عند الكثير من الأسر التي امتهنت صناعة البخور. استخدام البخور يعد كظاهرة مهمة ارتبطت بالإنسان العربي ، وبالأخص عند العنصر النسوي، حيث يستخدم من قبل المرأة كنوع من أنواع الطيب، يعطي الرائحة الزكية، وهناك كلام مأثور يقول:"إن الرجل يعشق من أنفه."

البخور لتطييب الثياب

جابر السامرائي - تاجر آخر في صناعة المباخر - يقول إن "المدخنة أو ما يطلق عليها أحيانا بالمبخرة، تصنع من الجص والفخار وبعد ذلك أصبحت تصنع من المعدن والخشب، وتستورد الآن المداخن او المباخر من دول عديدة عربية وآسيوية بعد أن تعددت استخداماته وتوقفت صناعته التقليدية ومن أدوات البخور: المبخر وهو الأداة الرئيسية الهامة في استعمال البخور ويكون اصغر حجما من حجم المدخن وله حلقة للامساك به والمدخن لا يستعمل للبخور ولا يستعمل المبخر للعود، ويصنع المبخر من الخشب والجير والنحاس ولا تستخدم النقوش والتشكيلات الزخرفية في المبخر كثيرا، وأيضا المبخرة: أداة تستعمل لتبخير الثياب ويقتصر استعمال المبخرة على أن توضع الملابس والأغطية عليها وتتكون المبخرة من شكل هرمي بارتفاع ٨٠ سم تقريبا ولها أربع قوائم ترتبطها ببعضها أعمدة متشابكة من الخشب ويتم وضع المبخر تحت المبخرة ويتسرب دخان البخور من خلال التدرج الخشبي المفتوح بين كل خشبة وأخرى من جميع الجهات. والمبخرة لا تقدم للضيوف أبدا وإنما يستعملها أهل البيت ولا يخلو منزل قطري من وجود المبخرة ولا يمكن الاستغناء عنها خصوصا كبيرات السن من النساء.

البخور وطرد الشياطين

وتقول (ام كمال) ربة بيت أن هناك معتقداً بأن رائحة البخور وحرق اللبان والحبة السوداء معه تطرد الشياطين وتذهب الحسد وتشفي المريض، إضافة إلى أن دهن العود يستخدم في علاج بعض الأمراض بعد خلطه مع العنبر الخام والمسك، وأشارت ام كمال إلى أن دهن العود الجيد يمتاز بطول فترة بقائه على الجلد، وللبخور أماكن لحفظه إذ يعتبر من الأشياء الثمينة لذا يحفظ في خزائن وحقائب خاصة، ولا يتم تعريضه للشمس أو الهواء حتى لا يفسد، وتبين ام كمال بقولها "نحن النساء نحب التعطر والتطيب بهذه الروائح الطبيعية ، ويتم تعطر المرأة بالبخور بعد انتهائها من أخذ حمامها اليومي، ووقت أن يكون شعرها وجسدها مبللين لتلتصق بهما رائحة البخور اكثر، وهذا ما يمنح الإحساس عند المرأة بأن رائحتها طبيعية بحسب قولها.

الهند مصدر البخور

أبو نصير تاجر بخور في "الشورجة" يقول: "كانت البخور والعود والعنبر والمسك بضاعة تأتي عادة من بلاد الهند عبر موانئ البصرة، وكان والدي يعمل على استيراد هذه الأنواع الى جانب البهارات ويقوم ببيعها للعطارين، لذا فان البصرة كانت تعتبر مصدر البخور في العراق ومنها يتم التوزيع إلى المحافظات كافة، وأنا الان ما زلت اجلب الانواع نفسها من الهند التي تتوفر فيها بكثرة انواع ممتازة تنتج عند احتراقها روائح رائعة.

ارتباط البخور بالتبرك

دعاء نجم - أخصائية نفسية - تبيّن قلة الإقبال على أنواع البخور اليوم مقارنة بتداوله في السابق حيث تقول إن "الناس في ما سبق كانوا يؤمنون بالخرافات ويعتبرونها ثوابت يقيسون عليها ويقيمون عليها حياتهم، ومنها إيمانهم بان البخور إذا ما أحرقت في البيت وفاح عبيرها ستزيد البركة والخير والرزق، وتمنع الشياطين من الدخول وتجلب الملائكة، وأما الآن فقد عرف الناس ان هذه الأفكار هي خزعبلات واعتقادات قديمة مرتبطة ببساطة الفكر الإنساني، لذلك فان المواطن الآن حتى وان أراد إحراق البخور في منزله فسيستخدمها لعطرها فقط.

المولدات والجو المغبر طغيا على الطيب والعنبر

أم ياسر تقول: إن "الجو تغير الآن وأصبح مغبرا إلى جانب دخان المولدات والمزابل الذي يملأ الشوارع، ويطغي على رائحة الورود، عندما كنت أسير في الشارع سابقا أشم العطور الطيبة والعبقة، لكن الآن لا وجود سوى للروائح الخانقة من دخان المولدات الأسود ، ولعدم وجود مكبات للنفايات ما يضطر الناس إلى رمي أزبالهم في الشوارع وفي الساحات ويؤثر هذا سلبا في منظر المدينة.

بخور بطرق مختلفة